مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الأسلوب الإنشائي في الآيات المحكية في قول الملائكة والشيطان الآيات المحكية في القرآن الكريم
دراسة بلاغية موازنة

الباحث/ أحمد همام خليل أحمد

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القران تبيانا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ خير خلق الله إنسانا، صلاة و سلاما دائمين متلازمين إلى يوم نلقاه ويلقانا

وبعد :

فقد انفرد القرآن الكريم بأسلوبه المعجز ونظمه البديع في عرض موضوعاته المختلفة. ويتجلى التأكيد على سمو بيانه وذروة بلاغته من خلال متابعة الآيات المحكية في القران الكريم والتي تستحوذ على الأذهان وتأسر النفوس وتعمق الجوانب الإنسانية في الذات ليتحقق الغرض الأسمى في ظل التوجيهات العظيمة والعواقب المنوه عنها ويزداد أولو الألباب عبرة وبصيرة . ولعل من أسمى أغراض النظم القرآني أنه يقوم على الغرض الديني المحض الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تشوبه الأوهام ، وهو يسلك سبيل الصواب ويرسخ في النفس دعامة الكيان الروحي ، ويؤصل في روعها التوجيهات الدينية الرائدة ، وكان ذلك من أبرز الخصائص التي ينفرد بها الأسلوب القرآني الذي يصب في قوالب الإعجاز ويحاط بسياج من التراكيب العجيبة المحكمة والأساليب البلاغية العالية . ودراستي للآيات المحكية في القران الكريم تشمل ما جاء بلفظ القول لان هناك آيات محكية بالمعنى فهي ليست محل دراستي ، وأما المحكي بالقول هو ما جاء بلفظ القول (قال) ومشتقاته وهذا الأسلوب أكثر الأساليب وروداً في القرآن الكريم ونلاحظ أن فعل القول في القران الكريم جاء (قال) ومشتقاته وهي:

(قالَ/قالا/قالوا، قالَتْ/قالَتا/قُلْنَ، قُلْتَ/قُلْتُما/قُلْتُم، قُلْتِ/قُلْتَما/قُلْتُنَّ، قُلْتُ/قُلْنا، يَقولُ/يقولانِ/يقولونَ...)

"وإن لفظ القول (قال) تكرر في القرآن خمسمائة تسع وعشرون مرة(وان تكرار لفظ القول بهذه الصورة في القرآن الكريم (بقال أو قالوا أو يقولون أو قولهم) أي حضور الآخر الذي يبتدئ كلامه بهذه اللازمة هو حضور ضخم والحاصل أننا أمام نص غريب فقد نستنتج من نص بشري لو وجدنا فيه هذه الدرجة العليا من الحضور لمؤشر الحوار-

مادة القول – أن صاحب النص شخص مفتوح شخص ذو طبيعة حوارية ، شخص يؤمن بحق الآخر ، شخص أنتج نصاً متعدد الأصوات ، شخص حضاري بالمعنى الحقيقي ، لأنه يستحضر رأيه ورأي الآخرين ويناقشه أما وأن الأمر يتعلق بكلام الله عز وجل فالأمر يحتاج إلى وقفة."[1]

وأغلب الآيات المحكية جاءت في سياق القصص القرآني أو جدل النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع المشركين وأهل الكتاب وأن المحكي عن الأنبياء يختلف عن المحكي على لسان أقوامهم وكذلك المحكي عن العاقل وغير العاقل وكذلك أيضا المحكي عن الملائكة والمحكي عن الشيطان والمحكي عن يوم القيامة (في المستقبل) غير المحكي عن الماضي (من الأمم السابقة) .

الأسلوب الإنشائي

أولا :الإنشاء في حكاية قول الملائكة

يُعرّف الإنشاء بأنّه : كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته [2] . لأنّه ليس لمدلول لفظة قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه .

والإنشاء قسمان : الأول : الإنشاء الطلبي، وتعريفه : وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وله خمسة أنواع هي : الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء.

والثاني : الإنشاء غير الطلبي ، وتعريفه : وهو ما لا يستدعي مطلوباً وله عدة أساليب: صيغ المدح والذم ، والتعجب ، والقسم ، والرجاء، وصيغ العقود [3]

يعرّف الاستفهام بأنه طلب الفهم من الغير على جهة الاستعلام [4] ، فمن الأغراض المجازية التي أفادها أسلوب الاستفهام في حكاية قول الملائكة:

((١)) لغة الحوار في القران الكريم د. المقرئ أبو زيد الادريسي
http://burathanews.com/arabic/thought/168076

((٢)) ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، عبد السلام محمد هارون /١٣.

((٣))ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٣٣٢/١.

((٤)) ينظر: كتاب الطراز ٢٨٦/٣ ، معترك الأقران ٣٢٧/١ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١٨١/١.

التعجب : فالتعجب يكون استعظاما لأمر قل نظيره فيولد الاندهاش ، وتوظيف أسلوب الاستفهام للتعبير عنه يعزز الدلالة ، فأتي الاستفهام لإفادة معنى التعجب في قال تعالى حكاية عن قول الملائكة :(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) البقرة – ٣٠

فتساؤل الملائكة عن وضع خليفة في الأرض (قَالُوا أَتَجْعَلُ) ليس على سبيل الاعتراض " وإنما أظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بدت على تلك المفاسد وألغتها واستخبارا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم إلى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضائل التي جعلته أهلا لذلك كسؤال المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله سبحانه ولا شكا في اشتماله على الحكمة والمصلحة إجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في ذريته " [١] فأتى الاستفهام للتعجب .

ويخرج الاستفهام أيضاً إلى معنى :

التوبيخ : قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) ٩٧– النساء

الاستفهام في قوله (فِيمَ) أي " أي في أي شيء كنتم من أمور دينكم " [٢]

خرج الاستفهام من المعنى الحقيقي إلى التوبيخ بأنهم ظالمي أنفسهم لعدم هجرتهم فارين بدينهم و تفريطهم في هذا الأمر الذي كان بمقدورهم وهو تخليص أنفسهم من غضب الجبار، ولكن لم يفعلوا فاستحقوا سوء المصير واعتذارهم الذي ذكروه غير مقبول

وقد علق الزمخشري على هذا الاستفهام بقوله " كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الأرض جوابا عن قولهم (فيم كنتم) ؟ وكان حق الجواب أن يقولوا: كنا في كذا أو لم نكن في شيء؟ قلت: معنى (فيم كنتم) للتوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين، حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا " [٣]

---

(١) ارشاد العقل السليم – ابو السعود – ج ١ – ص ٨٢

(٢) المرجع السابق ج ٢ – ص ٢٢٢

(٣) – الكشاف للزمخشري ج– ١ ، ص ٥٥٥

وهكذا لمسنا أنّ خروج أسلوب الاستفهام إلى التوبيخ موافق لحالهم. ولائق بمقامهم ، وقد عرفنا ذلك بفضل سياق الكلام وقرينة الحال ليتسق المعنى مع قصد الآية .

التبكيت والزجر: وتتوالى الاستفهامات في الآية السابقة في حكاية قول الملائكة:(قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ) حيث خرج الاستفهام هنا من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي وهو للتبكيت والزجر وهو أشد وقعًا من التوبيخ ؛ لكونهم قادرين على الهجرة وامتنعوا عنها .

التيئيس والتبكيت: وفي سورة غافر حكاية عن قول الملائكة نرى خروج الاستفهام إلى التيئيس والتبكيت قال تعالى حكاية عن قول الملائكة :

(قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) غافر

لم يسأل الملائكة سؤال استعلام في استفهام توجيهي آخر، وإنما سأل سؤال تبكيت وتيئيس، وهذا ما ورد في قوله تعالى : (قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) فهذا استفهام ، لكن الملائكة كانت تقصد تبكيت أهل النار وتيئيسهم، واستدراجهم إلى الإجابة التي طرح السؤال من أجلها. إذ يعد هذا التوجيه المغلق نحو إجابة معينة أرادها المرسل، من أكثر أنواع الخطاب صراحة، عندها لا يجد المرسل إليه إلا أن يجيب إجابة واضحة محددة، فالسؤال المباشر يوضح مكانة المرسل، وبأنّه يتمتع بسلطة تخوله بإلزام المرسل إليه بالإجابة الواضحة. وهذا يعني أن المرسل لا يريد مواصلة الخطاب مع المرسل إليه، إذ يريد هنا أن يبثّ اليأس في نفسه ليزداد ندمًا وحسرة.

الإنكار:عندما بشرت امرأة إبراهيم – عليه السلام – بغلام من قبل الملائكة ضحكت وتعجبت من ذلك وقالت : (قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) ٧٢ هود فجاء رد الملائكة على تعجبها قال تعالى حكاية عن قول الملائكة : (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣) هود جاء الاستفهام في الآية السابقة استفهام إنكاري تعجبي " فيه تعجب وإنكار لتعجبها ، أي لا ينبغي لك أن تتعجبي من شيء هو من أمر الله تعالى الذي لا يعجزه شيء ، لأنك معتادة على رؤية الخوارق في بيت النبوة والعجب إنما يكون ممن خفي عليه مثل ذلك ، وفي قولهم (من أمر الله) زيادة إنكار لتعجبها ولوم لها ورد عليها بان هذا الشيء المنافي للعادة من أمر الله تعالى وشأنه وقدرته وهو الذي يقول للشيء كن فيكون فلا

ينبغي التعجب من ذلك " [١] فالاستفهام خرج إلى معنى النهي بدليل إنكار الملائكة لقول امرأة سيدنا إبراهيم – عليه السلام–(قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) [٢] هود –٧٢، والمعنى:لا تعجبي من أمر الله.

الأمـــر

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها أسلوب الأمر:

الأمر: هو طلب الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام وصيغته (أفْعَل) (وليَفْعَل) [٣] ، وهو أسلوب إنشائي طلبي مليء بالدلالة الإيحائية .

وله أربع صيغ : فعل الأمر ، والمضارع المقرون بلام الأمر، واسم فعل الأمر والمصدر النائب عن فعل الأمر . وقد لاحظ البلاغيون أنّ الأمر قد يخرج عن معناه الأصلي "وهو الإيجاب والإلزام إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال" [٤] وسنركز في دراستنا لأسلوب الأمر على المعاني المجازية التي يخرج إليها ؛ لأنها مناط التفرد الأسلوبي الذي نحاول أنّ نقف إزاءه فقد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي ولأسلوب الأمر أهمية كبيرة في الآيات المحكية لما تضمنه من معانٍ مجازية تكشف عن مضامين الجُمل في هذهِ النصوص، في غير الإلزام والتكليف.

الاستخفاف والاستهزاء :

يأتي رد الملائكة على طلب أهل النار في قوله تعالى حكاية عنهم : (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) باستفهام تقريري ، يجعلهم يقرون بذنبهم . فيقول الله تعالى حكاية عن قول الملائكة : (قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) غافر

ثم يأتي بالأمر في قوله (فَادْعُوا) ليس على حقيقته بل خرج إلى المعنى المجازي لغرض الاستخفاف والاستهزاء فقول الملائكة (فادعوا) " أمر استخفاف واستهزاء؛ لأنه

---

(١) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام ، د . الشحات ابو ستيت – ص ٢٨٣

(٢) ينظر الجامع لاحكام القران ٧٠/٩

(٣) ينظر : كتاب الطراز ٢٨٢/٣ ، معترك الأقران ٣٣٥/١ ، الإتقان ٨٩١/٢ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٣١٣/١.

(٤) جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي /٧٧.

أمر بفعل ليست له فائدة ، ووراء ذلك مزيد من الشماتة وعدم الاكتراث بما هم فيه من ويلات "[1] كما أن في ذلك إدخالًا لأطماع الكافرين " وآمالهم وأوهامهم في تيه الضلال " [2] يأتي توجيه الملائكة لهم بأن يدعوا الله تعالى بأنفسهم، لأن يخفف عنهم العذاب، وفي هذا التوجيه أدب عظيم فهو يخرج عن الحرص على مصلحة المرسل إليه، لأن الأمر متعلق بسخط الله عليهم، فما كان توجيههم لأهل النار إلا استخفافاً واستهزاء بهم، وتقريعاً لهم على سوء صنيعهم في الحياة الدنيا.

النصح والإرشاد: وفي سورة آل عمران جاء أسلوب الأمر حكاية عن قول الملائكة قال تعالى : (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) آل عمران -٤٣

في البداية أريد أن أعرض قوله تعالى (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) وهي الآية التي تسبق سياق الأمر

نرى في هذه الآية " كرر فعل اصطفاك لأن الاصطفاء الأول اصطفاء ذاتي، وهو جعلها منزهة زكية، والثاني بمعنى التفضيل على الغير، فلذلك لم يعد الأول إلى متعلق. وعدي الثاني.

ونساء العالمين نساء زمانها، أو نساء سائر الأزمنة. وتكليم الملائكة والاصطفاء يدلان على نبوءتها والنبوءة تكون للنساء دون الرسالة ،وإعادة النداء في قول الملائكة: يا مريم اقنتي لقصد الإعجاب بحالها، لأن النداء الأول كفى في تحصيل المقصود من إقبالها لسماع كلام الملائكة، فكان النداء الثاني مستعملا في مجرد التنبيه الذي ينتقل منه إلى لازمه وهو التنويه بهذه الحالة والإعجاب بها.

والقنوت ملازمة العبادة، ونرى أن السجود كان مقدمًا ، لأنه أدخل في الشكر والمقام هنا مقام شكر.

وقوله: مع الراكعين إذن لها بالصلاة مع الجماعة، وهذه خصوصية لها من بين نساء إسرائيل إظهارًا لمعنى ارتفاعها عن بقية النساء؛ ولذلك جيء في الراكعين بعلامة جمع التذكير.

(١) آل حم غافر–فصلت دراسة في أسرار البيان، د .محمد ابو موسى ص ١٨٤

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٢٤ ص ٧٢

وهذا الخطاب مقدمة للخطاب الذي بعده وهو قوله تعالى: (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) آل عمران – ٤٥

لقصد تأنيسها بالخبر الموالي لأنه لما كان حاصلة يجلب لها حزنا وسوء قالة بين الناس، مهد له بما يجلب إليها مسرة، ويوقنها بأنها بمحل عناية الله، فلا جرم أن تعلم بأن الله جاعل لها مخرجا وأنه لا يخزيها"[1].وفي قوله تعالى :

(يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) آل عمران

نرى أن الأمر هنا خرج من معناه الحقيقي في قوله:(اركعي ، اسجدي، اقنتي) إلى معنى مجازي قصد منه النصح والإرشاد، ونرى أن السيدة مريم كانت تركع، وتسجد، لكن لعله جاء بأمر الركوع والسجود، لأنه أراد منها الملازمة التامة لهما ، بدليل أنه قال اقنتي، والقنوت ملازمة الطاعة كما سبق أن أشرنا، كما أنه قال لها(مع الراكعين) علة أراد من ذلك ملازمتها لصلاة الجماعة، وهذا كله على سبيل النصح والإرشاد والله أعلى واعلم.

التكريم : وتختلف دلالة الأمر بحسب السياق التي ترد فيه ، في سورة الزمر قال تعالى حكاية عن قول الملائكة :(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) الزمر

حيث جاء الأمر في حكاية قول الملائكة (فَادْخُلُوهَا)خرج من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي ، فأمر الملائكة لأهل الجنة بالدخول في الآية السابقة جاء على سبيل التكريم وزيادة في التنعيم والحفاوة ويذكر ابن شعور أن جاء الأمر بالدخول لأهل الجنة فهو على سبيل التكريم [2]

للإهانة والتحقير : ويأتي الأمر (ادخلوا) في سياق آخر من نفس السورة في قوله تعالى : (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) الزمر للإهانة والتحقير ، حيث جاء الأمر من الخزنة لأهل النار فالأمر هنا خرج من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي وهو الاهانة الازدراء والشماتة .

أسلوب النهي

(١) التحرير والتنوير ٣/٢٤٤

(٢)انظر التحرير والتنوير ج ٢٤ ص ٧٢

أسلوب النهي في حكاية قول الملائكة :

النهي هو طلب الكف عن فعل على وجه الاستعلاء وصيغته (لا تفعل) [1]وعلى هذا يمثل النهي واحداً من الأساليب الإنشائية الطلبية التي حفل بها النص القرآني، والخصائص الأسلوبية في هذا الملحظ الأسلوبي تتمثل في علاقة النص بالسياق أو مقتضى المقام، أي بمعنى آخر خروج أسلوب النهي إلى معانٍ مجازية تعرف من السياق.

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها أسلوب النهي :

اللوم والعتاب :جاء على لسان الملائكة في قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام عندما بشرته الملائكة قوله تعالى : (قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنْ الْقَانِطِينَ) الحجر– ٥٥ فالفعل (لا تكن) صادر من الملائكة المرسلين إلى نبي الله وخليله إبراهيم ، لكن المراد به اللوم والعتاب ، وذلك لان الأنبياء منزهون عن القنوط " ولما كان إبراهيم– عليه السلام– منزها عن القنوط من رحمة الله جاءوا في موعظته بطريقة الأدب المناسب فنهوه عن أن يكون من زمرة القانطين تحذيرا له مما يدخله في تلك الزمرة، ولم يفرضوا أن يكون هو قانطا لرفعة مقام نبوءته عن ذلك. "[2] فخرج النهي من معناه الحقيقي إلى اللوم والعتاب .

بث الطمأنينة :وفي نفس السياق سياق البشرى جاء قوله تعالى في سورة الحجر قال تعالى على لسان الملائكة : (قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) الحجر –٥٣ ، ولكن جاء النهي هنا من الخوف من الملائكة، حيث خرج النهي من معناه الحقيقي إلى الطمأنينة في نفس إبراهيم – عليه السلام ومثله أيضًا قوله تعالى :(وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) العنكبوت

النصح والإرشاد:وفي سياق حكاية نبي الله لوط جاء قوله تعالى حكاية على لسان الملائكة :(قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم /٣٢٠ ، الإيضاح /٨٥، كتاب الطراز ٢٨٤/٣، عروس الأفراح للسبكي (ضمن شروح التلخيص) ٣٢٤/٢ ، معترك الأقران ٣٣٦/١ ، الإتقان ٨٩٣/٢، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٣٤٤/٣ .

(٢) التحرير والتنوير ج ١٤ ، ص ٦٠

بِقَرِيبٍ) هود- ٨١ ففي قوله (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ) جاء أسلوب النهي ولكن ليس على حقيقته بل خرج إلى المعنى المجازي وهو النصح والإرشاد عن عدم الالتفات المقصود به " أي لا يتخلف أولا ينظر إلى ورائه " [1] فجاء النهي على سبيل النصح والإرشاد حتى لا يهلك .

" وسبب النهي عن الالتفات التقصي في تحقيق معنى الهجرة غضبا لحرمات الله بحيث يقطع التعلق بالوطن ولو تعلق الرؤية."[2]

ثانيا :الإنشاء في حكاية قول الشيطان الرجيم

الاستفهام

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها أسلوب الاستفهام :

الإنكار : قال تعالى حكاية عن قول الشيطان :(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) سورة الإسراء

فجاء الاستفهام بالهمزة في سورة الإسراء في الآية السابقة وحمل معنى غير معناه الحقيقي ، فقد جاء حكاية عن الشيطان اللعين عندما امتنع عن السجود مع الملائكة (قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا) فهو استفهام إنكاري وقح وقع من قبل الشيطان أمام الله – سبحانه وتعالى – عندما أجرى قياسا مفاده : أن أصله اشرف من أصل آدم فوجب أن يكون اشرف منه،فكيف يكون سجود منه لمن هو دونه ؟

وعند محاورة الله مع إبليس، يظهر مبلغ الحقد، ومكمن الحسد لذرية آدم من إبليس ولعل هذا يدل على مدى الحقد الذي وصل بإبليس اللعين حتى توعد باستئصال ذرية آدم

قال تعالى حكاية عن قول الشيطان الرجيم :(قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) الإسراء – ٦٢

فنرى الشيطان اللعين مصرًا على الإنكار " فقد أعيد إنكار التفضيل بقوله: أرأيتك المفيد الإنكار. وعلل الإنكار بإضمار المكر لذريته، ولذلك فصلت جملة قال أرأيتك عن جملة قال

---

(١) إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، أبي السعود ، ج ٤ ، ص٢٢٩

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ج١٢/ ص١٣٢

أأسجد كما وقع في قوله تعالى: فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد [طه: ١٢٠] .

" و أرأيتك تركيب يفتتح بها الكلام الذي يراد تحقيقه والاهتمام به. ومعناه: أخبرني عما رأيت، وهو مركب من همزة استفهام، و (رأى) التي بمعنى علم " [١]

العرض والترغيب: قال تعالى حكاية عن قول الشيطان الرجيم عندما أراد أن يخرج سيدنا آدم – عليه السلام – وزجه من الجنة :(فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى) (١٢٠) طه

هذا استفهام مجازي خرج من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي وهو (العرض) وهذا العرض من الشيطان جاء في صورة الاستفهام مخاطبا سيدنا آدم – عليه السلام – وألقى خطابه إليه عن طريق الوسوسة وعن كيفية الوسوسة يقول ابن عشور: " وهذا القول خاطر ألقاه الشيطان في نفس آدم بطريق الوسوسة وهي الكلام الخفي إما بألفاظ نطق بها الشيطان سرا لآدم لئلا يطلع عليه الملائكة فيحذروا آدم من كيد الشيطان، فيكون إطلاق القول عليه حقيقة وإما بمجرد توجه أراده الشيطان كما يوسوس للناس في الدنيا، فيكون إطلاق القول عليه مجازا باعتبار المشابهة." [٢]

ومستخدما أسلوب النداء لما له من تخصيص وإقبال (يَا آَدَمُ) ليكون أقبل وأمكن في الاستماع ، ثم عرض عرضه عن طريق الاستفهام الذي يشعر بالنصح ويؤثر على مخاطبه . كما اشتملت الآية على الأصوات المرققة في الكلمات (وسوس ، أدلك ، الخلد ، ملك ، لا يبلى) حيث أظهرت تلك الأصوات الشيطان في صورة الناصح الأمين ، وهو موقف يتطلب الهدوء حتى يصل إلى مراده من إيقاع آدم وزوجته في المعصية .

خرج الاستفهام في حكاية قول الملائكة من معناه الحقيقي الى المعنى المجازي فجاء للتعجب من أمر الله ، والتوبيخ والتبكيت والزجر والتيئيس والبكيت من الكافرين، والإنكار التعجبي من إنكار تعجب امرأت إبراهيم

---

(١) التحرير والتنوير ج ١٥ ص ١٥٥

(٢) التحرير والتنوير ج ١٦ – ص ٣٢٥

خرج الاستفهام في حكاية قول الشيطان إلى معاني مجازية هي الإنكار ، والعرض ولم نر له غير هذه الصورتين فقط .

الصورة الأولى :الإنكار وجاءت مرتين في قوله تعالى حكاية عن قول الشيطان :

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)

سورة الإسراء– ٦١وفي قوله تعالى : (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) الإسراء – ٦٢

الصورة الثانية :العرض في قاله تعالى حكاية عن قول الشيطان الرجيم عندما أراد أن يخرج سيدنا آدم – عليه السلام – وزجه من الجنة :

(فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى) (١٢٠) طه

خرج أسلوب الأمر إلى الاستخفاف والاستهزاء وللإهانة والتحقير من الكافرين و النصح والإرشاد التكريم للأنبياء والمؤمنين

وخرج الأمر في حكاية الشيطان إلى الإغواء والتزين لبني آدم والتوبيخ لاتباعه التذلل لله وطلب البقاء

خرج أسلوب النهي في حكاية قول الملائكة إلى اللوم والعتاب و الطمأنينة و النصح والإرشاد،ولم يرد أسلوب النهي في حكاية قول الشيطان إلا مرة واحدة وهي التوبيخ : (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) إبراهيم

الأمـــر

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها أسلوب الأمر :

الإغواء والتزين : ولما كانت وظيفة اللعين وهمه الأول هو التزين والإغواء لبني آدم للوقوع في المعاصي نرى قوله تعالى في سورة الحشر حكاية عن الشيطان الرجيم قال تعالى :

(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) الحشر- ١٦

خرج الأمر في حكاية قول الشيطان من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي وهو الأمر إلى الإغواء " أي أغراه على الكفر إغراء الآمر الأمور على المأمور به " [١]

فقد خرج الأمر في قوله تعالى حكاية عن الشيطان الرجيم : (اكْفُرْ) من معناه الحقيقي إلى الإغواء والتزين ، حيث أن الشيطان همه الأكبر هو تزين الأمر للإنسان وإغوائه حتى يفعله ويخاف أمر الله .

التوبيخ :وفي سورة إبراهيم جاء قول الشيطان اللعين :(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) إبراهيم – ٢٢

نرى حسرة أتباع الشيطان الذين استجابوا لأوامره ووساوسه، عندما يتخلى عنهم في النار يوم القيامة ، ثم بعد ذلك يقول لهم لا تلوموني بل لوموا أنفسكم موبخا لهم على إتباعهم إياه فخرج الأمر في قوله تعالى حكاية عن قول الشيطان : (وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ) من معناه الحقيقي إلى التوبيخ .

التذلل وطلب البقاء:

الأمر هو : هو طلب الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام ، وعندما علم الشيطان انه مطرود وملعون طلب من الله عز وجل أن ينظره قال تعالى حكاية عن الشيطان الرجيم : (قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) ١٤- سورة الأعراف وفي سورة الحجر قال تعالى : (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) سورة الحجر -٣٦ فخرج الأمر من معناه الحقيقي وهو طلب الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام ، إلى التذلل وطلب البقاء في الحياة الدنيا.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ج ٨ , ص ٢٣٢

النـهي :

لم يرد أسلوب النهي في حكاية قول الشيطان إلا مرة واحدة في سورة إبراهيم قال تعالى حكاية عن الشيطان اللعين : وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) إبراهيم –٢٢

التوبيخ :حيث خرج النهي في حكاية قول الشيطان الرجيم (فَلَا تَلُومُونِي) من معناه الحقيقي إلى التوبيخ . نرى حسرة أتباع الشيطان الذين استجابوا لأوامره ووساوسه، عندما يتخلى عنهم في النار يوم القيامة ، ثم بعد ذلك يقول لهم لا تلوموني بل لوموا أنفسكم موبخا لهم على إتباعهم إياه فخرج النهي في قوله تعالى حكاية عن قول الشيطان : (فَلَا تَلُومُونِي) من معناه الحقيقي إلى التوبيخ .

ثبت المصادر والمراجع

*الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، المكتبة الثقافية – بيروت ، ١٩٧٣م.

*إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ابو السعود محمد بن محمد العمادي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده – مصر ، اشراف محمد عبد اللطيف ، د.ت.

*الأساليب الإنشائية في النحو العربي، د. عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي بمصر ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م.

*الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، شرح وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الرابعة ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، ١٩٧٥.

*التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، دار الجماهير للنشر والتوزيع ، د.ت

*الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ، عن طبعة دار الكتب المصرية ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٧م .

*جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي ، الطبعة الثانية عشر ، منشورات دار إحياء التراث العربي ، بيروت

*خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام ، د . الشحات أبو ستيت ، مطبعة الأمانة ، ط ١ ، ١٩٩١م

* الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، طبع بمطبعة المقتطف ، مصر ، ١٩١٤

*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

*لغة الحوار في القران الكريم د. المقرئ أبو زيد الادريسي

http://burathanews.com/arabic/thought/168076

*معترك الأقران في إعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطي ، ضبطه وصححه وكتب فهارسه احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

*معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الثاني ، ١٩٨٦ ، والجزء الثالث ، ١٩٨٧ .